دور الزاوية القادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر

The role of the Zawiya Qadiriya in resisting French colonialism in Algeria

د. عبد الجليل ساقني

المركز الجامعي تامنغست (الجزائر)، djalilsocio@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/06 تاريخ القبول: 2021/04/26 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص: تعد الزاوية القادرية بورقلة إحدى اهم المؤسسات الدينية المهمة في تاريخ الجزائر، فلقد ساهمت في التوعية والتربية والتعليم، ونشاطها امتد حتى للجانب السياسي، وفي هذا البحث سنتطرق إلى تاريخ هذه المؤسسة وموقفها تجاه الاستعمار الفرنسي خصوصا بالجنوب الجزائري، أثناء ذلك سنتحدث عن حقيقة الزاوية وتأسيسها ودورها الفعال في مقاومة الاستعمار وتحرير الجزائر، وكنتيجة أساسية توصل إليها البحث هي أن هذه الزاوية قد لعبت دورا أساسيا في مقاومة الاستعمار منذ تأسيسها سنة 1884 بقيادة شيوخها وطلبتها، فقد كانت مدرسة للتعليم وبيتا للقضاء والاصلاح، ومقرها كان ملاذا للمجاهدين وسبيلا لتموين ثورات الشعب، ومنها خرج الجنود لمواجهة جيش الاحتلال.

كلمات مفتاحية: زاوية، استعمار، تعليم، مؤسسة، جيش، معركة.

Abstract: In this research, I will discuss the history of the Zawiya Qadiriya Foundation and its attitude towards French colonialism, especially in the south of Algeria, in the meantime, in the course of which I will talk about the reality of zawiya and its founding and its effective role in resisting colonialism and the liberation of Algeria, As a key finding of the research, this corner has played a key role in resisting colonialism since its founding in 1884, as it was a school of education and a house of justice, based on a shelter for the people and a place to supply the revolutions of the people, from which the soldiers came out to confront the occupation army.

Keywords: Zawiya ,Colonialism, education, institution, army, battle.

المؤلف المرسل: عبد الجليل ساقني، **الإيميل**: djalilsocio@gmail.com

1. مقدمة:

الزواية هي المكان والمؤسسة التي يلجأ إليها الفرد أو الجماعة بعيدا عن تجمعات الناس من أجل الإكثار من الطاعات والتقرب إلى الله، وقد عرف المجتمع الجزائري الزاوية بنشاطاتها المتعددة منها التعليمية، الاجتماعية والسياسية، وكان لها دور فاعل في فترة تواجد الاستعمار الفرنسي على أرض الوطن ففي هذه المرحلة التي عانى فيها الشعب الجزائري اشد أنواع المآسي من فقر وجهل واعتقالات وسجن ونفي وتعذيب وإعدام، قامت الزوايا ورفعت راية الصمود ومواجهة الاستعمار الغاشم وسعت إلى الدفاع عن الدين الإسلامي والحفاظ على اللغة والقران الكريم وكل هذا يندرج ضمن حماية الوطن ومقومات الشعب الجزائري.

وقد كانت الزاوية القادرية من بين تلك المؤسسات التي أزعجت المستعمر فكانت منبر إشعاع حارب الجهل والأمية وأنارت العقول بالعلم والمعرفة لتحصينها ضد مخططات المستعمر الهادفة إلى طمس معالم الهوية الشخصية للمجتمع الجزائري، وسعت كذلك للدفاع عن وطنيتها بالطرق الممكنة فحملت على عاتقها مهام سياسية كبرى وسعت إلى تحقيقها، بداية من القضاء على الجهل والأمية إلى مساعدة الناس وتوفير المأكل واحتياجاتهم الأساسية للعيش، ناهيك عن المعارك والثورات التي كانت تبرز بين الحين والأخر كرد فعل ضد انتهاكات الاستدمار، وكل هذا كان من أجل المساهمة في تحقيق الاستقلال وهو الهدف الأسمى الذي سعت الى تحقيقه كافة التنظيمات والجبهات والجمعيات على رأسها جيش التحرير الوطني.

لقد أخذت الزاوية القادرية مكانتها في المقاومة الوطنية، حيث تبنت الكفاح المسلح ضد الاحتلال وأعدت ما استطاعت من قوة ومن الرجال منذ الوهلة الأولى لدخول المستعمر، فحولت بذلك مقراتها الى مخابئ وملاجئ للمجاهدين، ودفعت بطلبتها إلى الصفوف الأمامية لجنود الشعب واستطاعت فعلا أن تتعب العدو وتحقق انتصارات عديدة، وفي سطور هذا البحث سأتحدث عن صفحات من تاريخ الزاوية القادرية وأدوارها السياسية في فترة الاستعمار الفرنسي، وسننطلق من سؤال مركزي وهو: ما هو دور الزاوية القادرية بورقلة في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر ؟

2 منهج البحث:

إن طبيعة موضوع الدراسة يفرض علينا إتباع المنهج الكيفي الذي يعتمد على التحقيق الميداني والشهادات وقصص الحياة، وتحديدا سنتبع المنهج الوصفي المونوغرافي والذي يعتبر ذلك البحث التفصيلي لموضوع يدرس من كافة جوانبه دون إهمال عنصر من عناصره[1]، كما يمكننا أيضا اختيار دراسة وحدة معينة فقط، إما شخصا أو مؤسسة في هذه الحالة نكون بصدد إجراء بحث مونوغرافي أو دراسة حالة، إن دراسة كيفية سير مؤسسة أو التحقيق حول حدث أو شخصية معينة كلها من هذا النوع من البحث، لهذا نتطلع أن يكون التعمق في دراسة الحالة منيرا لمختلف جوانب المشكلة موضوع الدراسة كما نأمل أن يكون العدد القليل من ناحية التمثيلية معوضا بشمولية الدراسة ومؤديا إلى خلاصات قابلة للتعميم.[2] المونوغرافيا إذا هي دراسة وصفية لظاهرة محددة مثل قرية او قبيلة ويصطلح عليها بأفرودة لأن البحث فيها يخصص ويفرد لموضوع بعينه بمعنى البحث الذي يخصص في كتابة موضوع واحد وغالبا ما يعد من قبل كاتب واحد وذلك ما يدل عليه كلمة **مونو** أي واحد للموضوع والكاتب، و**غرافيا** هي الوصف.[3]

يمكن لهذه العملية أن تختلف جزئيا عن سابقاتها في حالة البحث الكيفي، ذلك بسبب أن البحث الكيفي عادة ما يحمل خاصية الريادة أو أنه يفحص الظواهر التي يصعب قياسها، إنه لا يستطيع أن يتوقع دائما ما سيتوصل إلى اكتشافه لاحقا، حسب المؤلفين تنحصر العملياتية في الإحاطة بسؤال البحث فقط دون صياغة الفرضية ودون تقديم افتراضات قابلة للتعديل، إذا استعملنا المنهج التاريخي بصفة خاصة حسب بعض المؤرخين فان الباحث لا يستطيع أن يضع الفرضية إلا في نهاية بحثه ففي بداية البحث تكون لدينا فقط فكرة موجهة خاضعة لتحولات متتالية بالنسبة إلى هذا النوع من البحث أو البحوث الوصفية عامة، فإننا نقدم الإجابة عن السؤال في صيغة هدف البحث بدلا من تقديمه في صيغة فرضية، لابد أن تتحقق الحدود المستعملة في هذه الصياغة بالضبط مثل تلك الحدود التي تتضمنها الفرضية[4]، وفي هذه الدراسة تمحورت أهداف البحث في الأتي:

- التعريف بالزاوية القادرية بالرويسات ورقلة.
- إبراز أدوار الزاوية القادرية المختلفة في فترة تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر.
- عرض موقف الاستعمار الفرنسي وسياسته تجاه الزاوية ونشاطاتها المختلفة.

3. لمحة تعريفية للزاوية القادرية :

تقع الزاوية القادرية المشيخة العامة للطريقة القادرية بالجزائر في مدينة ورقلة الواقعة بالجنوب الشرقي للجزائر، ورقلة لها تسميات عديدة منها: "و أرجلان" " واركلا " " وارقلان وهي مدينة بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها صور جميلة وحولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، الصناع فيها كثيرون وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة إكدز، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد لاسيما قسنطينة وتونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان، الشحم واللحم نادران جدا، وتؤكل الجمال والنعام، وأغلب الناس سود ... وأهل وركلة كرماء ظرفاء يستقبلون الغرباء استقبالا حسنا[5]

وتقع الزاوية القادرية تحديدا ببلدية الرويسات على بعد 5كلم من مقر الولاية، قرب سبخة الشط وسط بنغازي محاذاة البركة ورأس عبيدة وهي احدى اهم واكبر البلديات في ولاية ورقلة ولها مميزات خاصة سواء من ناحية عدد السكان، أو من حيث المساحة التي تتجاوز 7 آلاف كلم2، وقد تأسست الزاوية القادرية سنة 1884م على يدي كل من الشيخ الهاشمي والسي محمد الطيب، وكانت الزاوية بعد تأسيسها احد اهم العوامل التي ساعدت على تعمير المنطقة وجذب السكان من خلال إيواء عابري السبيل والتعليم الديني والحفلات التي تقوم بها سنويا ومختلف الأدوار الأخرى سواء الاجتماعية و الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية. وهذا أمر حدث مع العديد من الزوايا فقد انطلقت الزوايا في البدء ومازالت الى اليوم كفاضاءات لتوفير المأكل والمشرب للفقراء وعابري السبيل، فالإطعام كان من أهم الوظائف التي ادتها الزوايا خصوصا في بدايات بناء مكانتها الدينية، وهي العملية التي تجد سندها في المرتكز الديني الذي يبرر ميلاد الزاوية كرباط روحي، يفترض فيه أن يكون في خدمة الفقراء وعابري السبيل وغيرهم من زوار الزاوية والمقيمين فيها طلبا للعلم أو الشفاء بل إن شهرة الزاوية تزداد أكثر خلال فترات الجفاف وهو ما تستفيد منه في توسيع قاعدة المريدين، وهو ما سيساعد في تطوير اسسها الاقتصادية، وهنا يقول جاك بيرك عن الزاوية: شكلت دولة ذات سلطة حقيقية لا يشكل فيها الروحي سوى النسخة الراقية فإعادة توزيع الخيرات والأغذية وممارسة التحكيم والشفاعة أو التوسط والحماية وتنشيط دائرة موسعة من الانصار التي ما فتئت تزداد توسعا. [6]

4.موقف الزاوية من الاحتلال الفرنسي :

لم يرضخ الشعب الجزائري للاستعمار ولم يرض بالأمر الواقع حتى بعد توقيع معاهدة الاستسلام مع الفرنسيين في 5 جويلية 1830 وقرر مواجهة الاحتلال مهما كلفه ذلك، وفعلا فقد انطلقت المقاومة الشعبية في كل نقاط البلاد، وخاضت الجماهير مقاومات منظمة مع الأيام الأولى من الاحتلال كما لم تقتصر المقاومة الشعبية على المظهر المسلح فقط، بل اتخذت في نفس الوقت طابع صمود ثقافي ورفض مطلق للقيم التي يريد المحتل فرضها وإقرارها، فلقد كان الدفاع عن الإسلام، والحرص على صيانة الشخصية الوطنية بمثابة العوامل التي حركت تلك الثورات والانتفاضات، وبذلك تحوّلت الزوايا والمساجد ومراكز التعليم إلى نقاط ارتكاز، ومع كون الزوايا أكثر المؤسسات الدينية الثقافية انتشارا في الجزائر بالحقبة الاستعمارية، فقد لعبت أيضا الدور الأبرز في قيادة الثورات ضد المستعمر وتعبئة الصفوف، وحث الناس على الجهاد، كما قامت بعرقلة المخططات الاستعمارية وسياساته الرامية إلى القضاء على هوية الشعب، كسياسة" الفرنسة "وسياسة "التنصير" التي اعتمدها المستعمر محاولا بذلك القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي بعد أن أدرك أنها تمثل اللحمة التي تربط جميع الجزائريين[7].

كانت الزاوية القادرية في الجزائر من بين المؤسسات التي لعبت الدور السياسي الكبير من خلال مقاومتها للمستعمر رغم نقص إمكانياتها في مجالات عدة إلا أن قوة الإيمان الذي كان لدى المنضوين تحت هذه الطريقة و الزاوية وحبهم للوطن جعلهم يقفون ندا لواحدة من اكبر الدول قوة في ذلك الوقت، ولقد تبنت الزاوية القادرية منذ الوهلة الأولى لدخول الاحتلال إلى أرض الجزائر موقفا معاديا له ولكل ما هو أجنبي يخالف الإسلام وتقاليد البلاد، ووقفت في وجه التنصير والتخريب كالحملات الصليبية التي عرفتها الجزائر من خلال التعليم الديني الذي كان يمثل شكلا من أشكال مقاومة الاحتلال الغربي الصليبي مقاومة لا تقل أهمية عن المقاومة بالسلاح، بل كانت أقوى وأعنف منها أحيانا. وقد اعتمدت الزاوية القادرية في منهجها القيادي الثوري والتعليمي على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي تقرير للملازم الفرنسي بوسري بعد ثورة 1846 قال " إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها وتخطط لها سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي"[8].

ولم يقتصر دور الزاوية على التربية والتعليم والمقاومة الثقافية فقط، بل تعدّاها ليشمل أيضا دعم الثورات والانتفاضات الشعبية وتأييدها ومدّها بكل ما تحتاجه من مساعدة، وقد كان من بين زعمائها من أبناء الزاوية وشيوخ الطريقة، كالمجاهد الشريف محمد بن إبراهيم الحساني و قبله الشيخ الهاشمي والشيخ احمد الشريف والشيخ إبراهيم بن احمد وبهذا الصدد يقول أغستين بيرك والد المستشرق الفرنسي جاك بيرك ما يلي:

" أن الأمير عبد القادر ما كان ليستطيع ضم الناس إلى صفه لو لم يكن مقدم إحدى الزوايا الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية".[9] وهذا شيخ الزاوية المجاهد الشريف محمد بن إبراهيم الحساني الذي ولد عام 1924م بالرويسات في ولاية ورقلة والده هو إبراهيم بن محمد الطيب بن براهيم بن احمد الملقب ببرهوم بن احمد دفين منطقة نفطة بالقطر التونسي.

5. مساهمة الزاوية القادرية في مقاومة المستعمر:

لقد كان اكبر تحد للمستعمر من الشيخ الهاشمي احد شيوخ الطريقة والزاوية والذي ولد بنفطة في تونس و لما كبر انتقل الى الجزائر وأسس زاوية اعميش في 1886 والزاوية القادرية رفقة أخوه السي محمد الطيب، وقد كان من شيوخ الصوفية الذين نجحوا في تنقية الحياة الروحية لكثير من الناس وهو من الذين تركوا تراثا ذا قيمة عالية ونتيجة لمواقفه دعي بأسماء كثيرة منها سيدي الهاشمي والشيخ والشريف وبودفرة وهشوم وبوهشمة وكلها اسماء شعبية لهذا الشيخ، وكان ككل صالح يحرض الناس على الجهاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي ولا غرابة في ذلك حيث أن جده الشيخ احمد الشريف كان من احد الذين ساندو الأمير عبد القادر في جهاده بالإضافة الى الشيخ إبراهيم بن احمد دفين نفطة هو أيضا كان من ممولين الأمير بالمال والرجال كما أن هذا الاخير أرسل المجاهد بوشوشة وجهز جيشه ليقوم بالمقاومة في غرداية وورقلة والأغواط والوادي، و لما قام ناصر بن شهرة بالثورة في الأغواط أرسل معه ابنه الشيخ محمد الطيب الأخ الأكبر للشيخ الهاشمي.

وفي نفس السياق أرسل الشيخ الهاشمي مساعدات بشرية تقدر ب 350 مجاهد مجهزين بعتاد حربي مع مساعدات مالية للمجاهدين الليبيين تحت قيادة سليمان الباروني أثناء حرب طرابلس ضد ايطاليا في 1911- 1912 وكان على رأس أول المجاهدين ابن أخيه الشيخ محمد الأمين، وقد كان للشيخ الهاشمي مراسلات مع الزعيم سليمان الباروني وكان الواسطة بينهما سالم بن احمد وكان الباروني يعتبر الشيخ الهاشمي من أنصار حركة الجامعة الإسلامية المضادين للاستعمار الأوروبي.[10]

وقد كانت زاوية الشيخ الهاشمي تشع على مناطق عدة من الجزائر وخارجها وكانت كذلك ملجأ للمظلوم ففي رسالة من القائم بغدامس في الحدود الجنوبية بين ليبيا و الجزائر يطلب من الشيخ أن يتدخلوا للقبض على قطاع الطرق الذين سرقوا ابل الطوارق بعدما عجزت السلطة الفرنسية على ذلك .

وهذا الإشعاع جعل سلطة الاحتلال الفرنسي تتحرش بالشيخ وتحاول أن تحيك حوله المؤامرات خصوصا بعدما شارك في مظاهرة حاشدة معادية لفرنسا في نوفمبر 1918 عرفت في اللغة الشعبية هدة سيدي الهاشمي، رافضا تجنيد الشباب والعمال للخدمة في فرنسا لأن الإشاعات راجت بأن هؤلاء المجندون سيلحقون بالجيش الفرنسي فور وصولهم الى فرنسا، ومن مواقف الشيخ الهاشمي كذلك انه انتقل الى البياضة ليلتقي بوفد يقال أنهم من الطوارق ممن زودتهم فرنسا بالمال والسلاح ليمهدوا لها الدخول لمنطقة الهقار بأقصى الجنوب على مشارف افريقيا السوداء فاعترض الشيخ الهاشمي الوفد في نواحي تقرت واقنعهم بترك مساندة المستعمر[11].

ولما بلغ التوتر أشده بين إدارة الاحتلال وأتباع الشيخ سجنت جماعة منهم فهجم الناس على دار القايد وتدخلت السلطة العسكرية وسجنت جماعة اخرى وهنا تدخلت الزاوية عن طريق الشيخ الهاشمي من اجل إطلاق سراح المساجين فرفض الحاكم فتدخل الشيخ بالقوة وأطلق سراح المسجونين وهجم الناس على المركز الفرنسي ولم تعد الأمور الى نصابها والى الهدوء إلا بعد ثلاثة أيام، و شعرت فرنسا بالخطر فنظمت حملة عسكرية زحفت بها على نفطة وبسكرة و تقرت وأدرك الشيخ خطورتها فحاول تفاديها لمصلحة السكان وصرح بأنه هو المسئول عن كل ما جرى وقدم نفسه فدية وتضحية ورضي بإلقاء القبض عليه فزاده ذلك احتراما و تقديرا لدى الناس والى ذالك يشير شاعر الثورة مفدي ذكريا حيث قال:

وضرغام الهاشمي الشريف يذيق بواز العذاب المهين

وكم كان سوف لضم الصفوف وجمع الشتات الحريص الضمين

ونقل الشيخ ووضع بالإقامة الجبرية وحكم عليه سنة في سجن امبواز الذي سجن فيه الأمير عبد القادر من قبل في فرنسا[12]، و بعد إنهاء العام عاد الشيخ للوطن وهو مريض وكان حيثما ذهب إلا وإلتف حوله الناس و أعطوه مما لديهم وأسس زاوية في ذلك المكان وسرعان ما إشتد به المرض وتوفي في 15 جوان 1923 وبعد وفاة الشيخ الهاشمي خلفه ابنه الشيخ عبد العزيز واشتهر بنضاله ضد المستعمر ونادى بالجهاد في ساحة الشهداء في سوف فلبى الشيخ عبد الحميد بن باديس الدعوة فزار سوف وألقى خطبا هو ورفاقه في تجمعات شعبية ودعا الى المقاطعة الاقتصادية لفرنسا، لذلك سجنت السلطة الفرنسية الشيخ

عبد العزيز وأعلنت حالة الطوارئ في المنطقة متهمة إياهم بالإعداد للثورة وبعد نفي الشيخ تولى مكانه أخوه محمد الصالح، ولما اندلعت ثورة نوفمبر 1954 كانت لأفراد أسرة الهاشمي وأتباع الزاوية القادرية مواقف مشرفة في خدمة الثورة الجزائرية في تونس والجزائر وتزويدهم بالدعم المادي والمعنوي، فقد اشترى احد أبناء الزاوية القادرية قصر الباي بتونس في 1946 وتبرع به للثورة الجزائرية ورفع فيه علم الجزائر، ونصبت فيه أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية[13].

كما لا ننسى ثورة ثورة الناصر بن شهرة بن فرحات وهو من أتباع الزاوية القادرية حمل لواء الثورة منذ عام 1851م، مما أدى إلى اعتقاله ووضعه هو وعدد من أتباعه تحت الإقامة الجبرية بمعسكر قرب بوغار لكنه غادرها خفية، وبدأ كفاحه ضد المستعمر وعمل على تنسيق جهوده مع زعماء الثورات بتلك الفترة، كالشريف محمد بن عبد الله سنة 1852 م، وزعماء ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864، وثورة المقراني والحداد عام1871 وقد كان ابن شهرة في كفاحه بالجزائر وثيق الصلة بزاوية نفطة الرحمانية، ورئيسها مصطفى بن عزوز العدو اللّدود للفرنسيين الذي حول زاويته إلى ملجأ للاجئين والمطرودين الجزائريين، وقد لقي بن ناصر بن شهرة منه كامل الدعم والمساعدة إلى أن غادر تونس سنة 1875 متوجها إلى بيروت ثم إلى دمشق التي توفي بها سنة 1884 م[14].

وفي عام 1953م زاره العقيدان سي الحواس وعلي ملاح والمجاهد علي بلحوتية بمقر الزاوية بالرويسات ومن خلال ذلك الاجتماع التاريخي تم تكليف الشيخ رحمه الله بمهمة التموين العام للمجاهدين أثناء الثورة حيث كان السلاح والمؤونة تمر على يديه باتجاه جبل بوكحيل والقعدة، وفي عام 1960م كشفت السلطات الفرنسية امره فحكمت عليه غيابيا بالإعدام[15].

وانطلاقا كذلك من الزاوية القادرية حارب الشيخ المجاهد الشريف محمد بن إبراهيم الحساني السلطات الفرنسية بشراسة ودهاء، وانخرط في الحركة الوطنية "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وبقي يواصل نضاله رفقة رجالها سرا عبر مناطق بسكرة والوادي وتبسة والعاصمة، انطلاقا من مقرات الزوايا المنتشرة عبر الوطن، وعندما زار "العقيد سي الحواس" المنطقة أعجب بنضاله وحماسه ونصبه عام 1956 في مهمة قائد الناحية من ورقلة إلى غاية جانت، وكانت له اتصالات كبيرة وسرية في تمويل الثورة بالسلاح والذخيرة والتنسيق مع الولاية الخامسة، وكلف بمهام أخرى في جهة متليلي، غرداية، الأغواط، واستمر جهاده إلى أن اعتقل، ثم فر من سجنه وحكم عليه بالإعدام غيابيا في جانفي سنة 1962 وبقي مختبئا في حماية

المناضلين بضواحي المدينة إلى غاية الإعلان عن الاستقلال، وعند اندلاع بعض الصراعات بين المجاهدين، كان بمثابة المرجع الروحي والديني، وحمل صفة الحكمة في تسوية الخلافات[16]،

كما لا ننسى دور الزاوية وشيوخها في الجانب الاجتماعي من حيث الإصلاح بين الناس إذا حدث نزاع بين فردين أو بين جماعتين تعمل الزاوية بشيخها ومقدميها على فك هذا النزاع، فيتم الإصلاح بين الناس المتخاصمين، إبطال الخلاف الدائر بين أفراد المجتمع، عن طريق" لجنة إصلاح ذات البين " فقد يلزم الشيخ أو المقدم حتى بالتنقل إلى مكان النزاع الخلاف لإزالته وإرضاء الطرفين، وبالتالي التسوية النهائية بين المتخاصمين، فكانت تقوم بدور الوساطة في الأمور الخلافية وإصلاح ذات البين، ولطالما كانت السلطة الفرنسية تعود لها لحل بعض النزاعات القبلية الشائكة التي تحدث بالمنطقة، والتي تعجز فرنسا عن حلها،كما عملت على القضاء على الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة وقربت بين الأغنياء والفقراء والعلماء والأميين وشرفاء الأصل و غيرهم فألفت بينهم في إطار الإسلام[17]

6. رد فعل المستعمر تجاه الزاوية القادرية:

لقد كان الرد الاستعماري عنيفا إزاء الثورات والمقاومة التي قامت بها الزوايا عموما والزاوية القادرية خاصة إذ اعتبرت مسئولة عن كل الأمور التي جرت والتي أتعبت فرنسا، وقد تحمل شيوخ الزوايا والمدارس القرآنية القدر الكبير من العقاب الجسدي والمعنوي وذلك إما بالسجن أو الاعتقال أو الإعدام أو النفي كما تلقى طلبة الزوايا كذلك نفس المصير الذي تلقاه شيوخهم فكثير ما قتل الشيوخ الى جنب طلبتهم آو زج بهم في السجون[18].

فبالنسبة للشيوخ لقد قامت قوات الاحتلال بعمليات دهم و تفتيش في القرى والأحياء بحثا عن الشيوخ ومن يساعدهم في المهام الموكلة إليهم وبذلك طالت تلك الحملات كل من كانت لديه صلة بالتعليم القرآني وهناك من الشيوخ من لقوا التعذيب القاسي في السجون واتخذت في حقهم أحكام من دون محاكمات، وفي الزاوية القادرية تعرض شيوخ الزاوية الى المراقبة اللصيقة التي تحرمهم من التنقل بحرية نظرا طبعا لما بدر منهم رغم أن فرنسا كانت تلجأ إليهم لحل بعض المشاكل العالقة بينها وبين الشعب من اجل إحلال النظام واستقرار الأوضاع، ولقد حكم على المجاهد الشريف محمد بن إبراهيم الحساني بالإعدام وكما ذكرنا سابقا فقد اعتقل الشيخ الهاشمي وأخذ بالأغلال والسلاسل وسجن بسجن امبواز بفرنسا، كما أن الشيخ محمد الطيب قتل بمؤامرة كبيرة مدبرة حيث استدعي الى منطقة شروين بين ادرار وعين صالح من اجل عملية صلح بين متخاصمين وفي الطريق قتل وكان ذلك في 1901[19].

وبالنسبة للطلبة ففي الوقت الذي قامت فيه قوات الاحتلال باعتقال شيوخ الزوايا والمدارس القرآنية سعت كذلك الى ملاحقة طلبتهم سواء أولئك الذين التحقوا بالثورة أو الآخرين، فتتبعتهم واحدا واحدا كما شرعت في استنطاق العديد منهم تحت طائلة من الإجراءات العقابية بغية الحصول على معلومات تفيد العدو بما كان يجري داخل الزوايا والمدارس القرآنية ومن اجل جمع المعلومات عن الطلبة الملتحقين بالثورة، وفي الوقت الذي تعبت فيه قوات العدو من البحث وتتبع الطلبة لجئت الى ذويهم وعائلاتهم فتعرضوا للاعتقال والى القتل والسجن ولم يسلم من تلك الحملات أولياء الطلبة بالدرجة الأولى لأن فرنسا حملتهم مسؤولية ما جرى، كما قامت بمصادرة ممتلكات الطلبة وعائلاتهم من الذين التحقوا بالثورة سواء من الحيوانات أو الحبوب و أجبرت العائلات على مغادرة أراضيها أو تحويلهم الى محتشدات[20] .

أما بالنسبة لمقرات وأماكن تدريس الشيوخ والطلبة فهي الأخرى لم تسلم من حملات قوات المستدمر الذي سعى بشتى الطرق الهمجية المنهجة للقضاء عليها ومحو أثارها فقد اعتبرت أنها السبب الأساسي لقيام الثورات وإمدادها بالعدة والعتاد من مال وجنود، وبذلك في أحسن الأحوال أغلقت أبواب هذه المؤسسات إما من السلطات الفرنسية وإما من طرف شيوخها والقائمين عليها، والذين رأوا بأن الوضع لم يعد يسمح بمواصلة مسيرة التعليم لما تلقوه من ضغوطات ومختلف أشكال المضايقات، والأمر البارز هو تعرض مكتبتها للحرق عنوة من طرف قوات الاحتلال وبذلك ضاعت الكنوز العلمية التي وضعها شيوخ الزاوية وتوارثوها فيما بينهم، وفي منطقة تقرت تعرضت الكتب الى البيع وفي مناطق اخرى تعرضت للتقسيم من اجل الانتفاع منها علميا أو للتبرك بها وكما علمنا فإن معظم مخطوطات وكتب الزاوية القادرية موجودة بمنطقة نفطة بتونس[21] .

7. خاتمة:

لعبت الزوايا بالجزائر دورا في مقاومة الاستعمار الفرنسي بمؤسساته المختلفة، فقد اهتمت بالتربية والتعليم وكان لها الدور الهام والبارز في الجانب الاجتماعي من خلال المواقف والمساعدات التي قامت بها لمساعدة الناس، بالإضافة الى معاركها ضد جيش المستدمر وخططه الجهنمية الرامية إلى القضاء على الجزائريين، وقد كانت الزاوية القادرية موضوع الدراسة احدى هذه الزوايا التي حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الوطن ومقومات الشعب الجزائري المسلم، وما يمكن قوله عن الزاوية القادرية أنها فعلا كانت ولا زالت مؤسسة هامة داخل المجتمع الجزائري وخاصة ما تقدمه في جانب التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية بشكل عام، فقط يجب الرجوع لها والاهتمام بها وألا ننسى فضلها ودورها الكبير في الأوقات الصعبة التي مرت بها البلاد، وما نتمناه أن تبقى الزاوية القادرية قائمة شامخة وأن تواصل تعليمها وتوعيتها للمجتمع لأن هذا الاخير أحوج ما يكون إلى البعد الروحي ليحقق توازنه وتستقيم أحواله، وفي الوقت الراهن عصر العولمة والتكنولوجيات الحديثة وحرب الإعلام وفي خضم التحولات السياسية والمادية السريعة على الزاوية القادرية أن تعتني قليلا بتطوير المؤسسة في المجالات الضرورية التي تأخرت فيها من أجل أن تستطيع مجابهة المؤسسات والوسائط المنافسة لها في عملية التنشئة الاجتماعية على الأقل.

8. هوامش البحث

[1] ALBERT BRIMO ,(méthodes des sciences sociales , Ed/ Montchrestien, paris 1972 p165

[2] موريس انجرس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي و اخرون، دار القصبة للنشر ، الجزائر2004 ص76

[3] ريتور فيليب، الدروس الأولى في علم الاجتماع، ترجمة محمد جديدي، دار الأمان ، الرباط المغرب 2015 ص15

[4] موريس انجرس ، نفس المرجع السابق ص152

[5] الحسن الوزان: وصف افريقيا، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط2، 1983، ص136.

[6] عبد الرحيم العطري، قرابة الملح، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، 2016 ص-ص160-164

[7] سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج5، دار الغرب الإسلامي ط1، 1998، ص 270.

[8]نفسه ص 270.

[9] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر 1989 ص- 193

[10] عميراوي احميدة، رسالة في الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر2003 ص 33.

[11] نفسه، ص 34

[12] مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة معلم في المدرسة القرآنية التابعة للزاوية القادرية يوم 10/ 02/ 2010

[13] مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة معلم قرآن بالزاوية القادرية يوم 2010/02/11

[14]عميراوي احميدة، مرجع سابق ص 34.

[15] مقابلة مع الأستاذ عطاء الله حقيقة، يوم 2010/02/11.

[16] مقابلة مع الشيخ عبد الرؤوف الشريف ، يوم 2010/02/10.

[17] محمد بن هلال، الملتقى الوطني الثاني للطريقة القادرية، الآمال للطباعة والنشر، الجزائر 2005، ص40.

[18] صايكي محمد، شهادة ثائر من قلب الجزائر ، دار الأمة الجزائر، الطبعة الثانية.2003، ص 307

[19] مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة، يوم 11/ 2010/02.

[20]مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة، يوم 11/ 2010/02.

[21] مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة معلم بالمدرسة القرآنية التابعة للزاوية القادرية يوم 10/ 02/ 2010.

9. قائمة المصادر والمراجع:

1.انجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي واخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر2004

2. الوزان الحسن، وصف افريقيا، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط2، 1983

3. العطري عبد الرحيم، قرابة الملح، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، 2016

4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5، دار الغرب الإسلامي ط1، 1998

5. بن هلال محمد، الملتقى الوطني الثاني للطريقة القادرية، الآمال للطباعة والنشر، الجزائر 2005، ص40.

6. ريتور فيليب، الدروس الأولى في علم الاجتماع، ترجمة محمد جديدي، دار الأمان ، الرباط المغرب 2015

7. ساقني عبد الجليل، الزاوية القادرية المشيخة العامة للطريقة القادرية بالجزائر، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر2 2010/2009

8. صايكي محمد، شهادة ثائر من قلب الجزائر ، دار الأمة الجزائر، الطبعة الثانية.2003، ص 307

9. عميراوي احميدة، رسالة في الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، الجزائر2003

10. مقابلة مع الشيخ عطاء الله حقيقة بالزاوية القادرية الرويسات ورقلة (فيفري 2010)

11. مقابلة مع الشيخ عبد الرؤوف الشريف بالزاوية القادرية الرويسات ورقلة (فيفري 2010)

12. نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر 1989

13. ALBERT BRIMO , méthodes des sciences sociales , Ed/ Montchrestien, paris 1972

10. الملاحق: بعض الصورة التي إلتقطتها شخصيا من أرشيف الزاوية القادرية بالرويسات ورقلة والمتمثلة في (صورة لشخصيات، ألبسة، أسلحة، مخطوطات، رسائل)

صورة حالية للمقر العام للزاوية القادرية ببلدية الرويسات ورقلة (المصدر تصوير شخصي)

صورة لشيخ الزاوية المجاهد الشريف محمد بن إبراهيم الحساني أثناء عملية لتهريب الأسلحة عبر الحدود وهو يرتدي السروال الفضفاض. (المصدر أرشيف الزاوية القادرية بالرويسات)

صورة لشيخ الزاوية أثناء الثورة وهو بالزي العسكري

صورة لشيخ الزاوية الشريف محمد بن إبراهيم الحساني على اليسار مع الطاهر الزبيري على اليمين قائد أركان جبهة التحرير، عشية الاستقلال(المصدر أرشيف الزاوية القادرية بالرويسات)

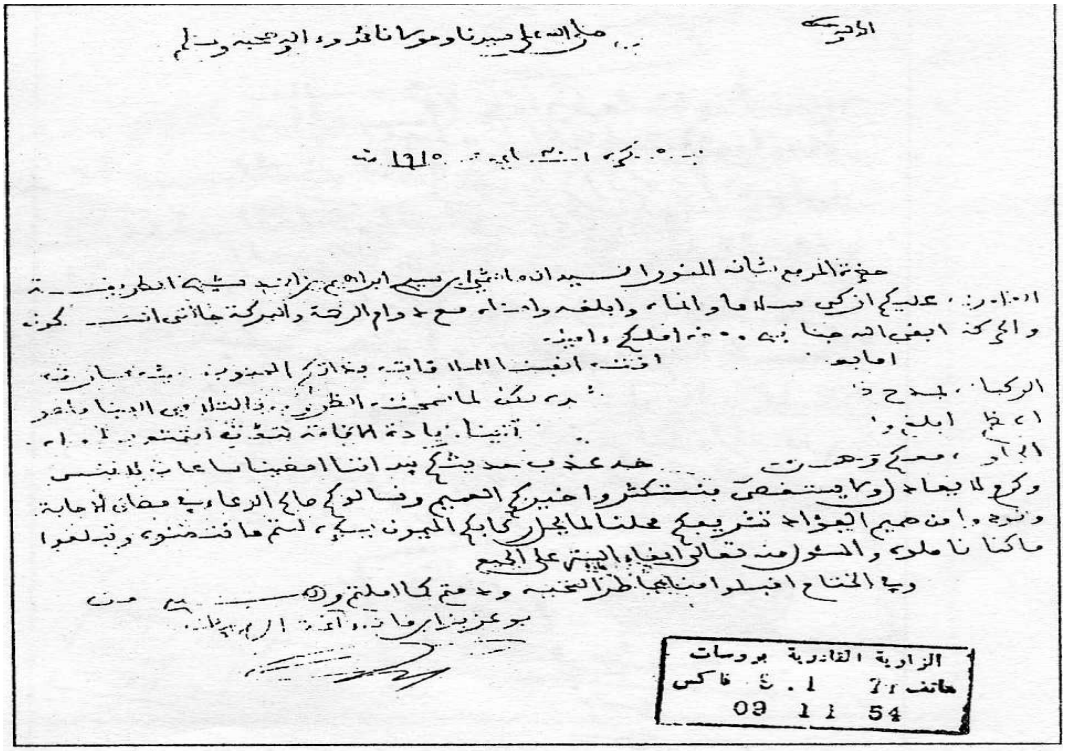

الزاوية القادرية بروسات
هاتف 71 . 3 فاكس
09 11 54